

د ناصر بلبوخاري

ميفارقين معركة الشجعان و حرب الفرسان



خريطة (1947) - حصار ميفارقين

دعيت في الجامعة للحديث و المحاضرة عن القيادة في وقت لم يناسبني و لم يسعفني في تحضير مداخلتي فارسمت أمامي ميفارقين تلك القلعة الصغيرة التي دافع عنها حاكمها الزاهد إلى اخر رمق في حياته متحديا صولة و طغيان التتار على العرب و المسلمين ، فبدأت و تساءلت مع الجميع ما القيادة و ما تعريفها و ماهيتها عندي و ما أبسط ما أبقى عنها في ذاكرتي فانسابت في مخيلتي محاضرة كاملة انقل فيها كل تلك المشاهد الرائعة من الثبات و التضحية و التخطيط و إدارة الأزمات بمهارة من خلال ذلك القائد الذي لا يذخر جهدا في سبيل بلوغ الهدف.

فأيقنت من خلال هذه التجربة الرائعة أن القيادة تكتسب بالممارسة، فإذا أردت أن تكون قائدا فعليك أن تكون كذلك، باتخاذ القرار و الحزم في المواقف و المبادرة إلى الأعمال و تنوع أساليب التأثير و التحريك و اتقان مهارات الادارة و التسيير و التحكم بمسار الوقت في الانجاز و اكتساب القدرة على التجديد من خلال الملاحظة الدقيقة و البناء المتين و النشاط المستمر. فعملية التأثير في الناس يجسدها ذلك المشهد المصور عندما تدرك تفاني مرؤوسيك في انجاز المطلوب منهم و تقنع بأنك مستعد للدفع لهم و عنهم مقابل ذلك فصحابة رسول الله -ص- أصدق قدوة و مقولة في ذلك " و الله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فامض لما أمرك الله به"

وهذا التفاني لا ينكسر ما دامت تحمله تلك الشخصية القوية التي تدرك أن لا مجال لمساومة المبادئ " يا عم والله لو وضعوا الشمس يميني و القمر يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته"

شخصية مليئة بالاخلاص لذات الله أولا ثم للرئيس و المرؤوس في طبيعة بشرية تجاهد نفسها على ابقاء هذا الشعور حيا متقدما مدافعا عن المبادئ و القيم التي تحدد إطار و رسالة هذه القيادة. "الرجال هم الذين يصنعون التاريخ وليس العكس ، ففي الفترات التي لا تتقدم ولا تتطور فيها القيادة يظل المجتمع متوقفاً تماماً. ويطرأ التقدم حينما تصبح الفرصة مواتية لقادة بارعين يستطيعون تغيير الأمور نحو الأفضل . هاريس . ترومان"

قيادة ناضجة في آرائها الجيدة النافعة و في أسلوب تعاملها الرهيف أحيانا و الشديد العزير أحيانا أخرى، فهذا الحجاب بين المنذر في غزوة بدر الكبرى يقترب من رسول الله -ص- ملتصقا في قمة من الالاداب مشورة رسول الله -ص- إن لم يفصل فيها وحي من الله عز و جل " أمزلة أنزلك الله اياها أم هي الحرب و المكيدة" فأجاب القائد دون تكبر و لا استعلاء بطريقة تفتح للمتحدث بابا واسعا في الاجتهاد و إبداء الرئي "بل هي الحرب و المكيدة" فكانت الطاقة الناتجة عن هذا التفاعل المتبادل سببا من أسباب النجاح.



هذا النجاح يعقد أيضا على الطاقة و النشاط ، من خلال التحرك المستمر في تغيير المواقع و التعاقد على البدل و العطاء في كل مرحلة من مراحل التنفيذ و الانجاز، فالجيش الذي لا يتحرك تفتت قواه و تنخر الراحة عظامه و يفنيه الاتكال و يضعفه البقاء على الحال لأن الذي لا يتقدم، دون شك هو في تأخر.

حالة من الترهل تدعو القائد للحزم و حمل الجميع على الجد و الاجتهاد في بذل المزيد بتنوع الطرق و الأساليب من خلال ممارسة ميدانية تفضي لاكتساب المهارات و تحصيل الخبرات.

وتقوية الاتصال بين جميع الافراد من أجل بناء فريق فعال يعبر عن وحدة متكاملة متجانسة و منسجمة في عملية القيادة.

ففي هذه العملية إذا كان لديك قدر قليل من الثقة في قدرات الأفراد (المقودين) صرت تنفرد بالانجاز و متابعة الأعمال لوحدهك فيظهر عيب كبير في عملية التأثير المتبادلة، فإذا تعبت من العمل بدأت تبحث على تحفيز الأعوان ماديا، فتضعف بذلك عملية التأثير الوجدانية الشعورية التي تعتبر ركيزة من ركائز القيادة، فإذا أصبحت لا ترى إلا نفسك و ترغب في الانجاز دون نقاش و كل أوامرك وحي لا يرد صرت مستتبدا غلظا لا يجبك الاتباع و يغدر بك الأقران ، فستعود نظيرا آيلا للسقوط، لا يدرك زلته إلا البحث عن تلك الطيبة التي تشعل نار حب جديدة بينك و بين الاخرين فتوحي لهم أنك رجل في يده الديمقراطية يزن بها سياسته كلما ظهر من يخالفه في الملامح بالهجة الدامغة، فإن صدقت المراد صرت رجل مشورة في كل حين تقرر مع الاجماع و تنفر مع الجميع و تقعد إن قعدوا و هذه ميزة لها أضرارها إن استمر الضرب في المشي بين الحفر دون عصا ترشده متى ألقاها أو يهش بها غنما حتى و إن لم يرها، فإن ترنت كل هذا صرت ضعيفا فاقد للأهلية و الثقة و لا تقود إلا لخراب فإن صدقتك الاتباع نلت منهم و إن خانوك أسلموك عدوهم دون ثمن.

فاخلع نعليك و ابدأ من جديد، صادقاً حازماً ، محباً صبوراً ، واثقاً مثالا في التضحية و الوفاء. فإن كنت كذلك فركز على الحقيقة الملموسة و لا تعش في غمرة الاحلام بل حولها إلى وقائع ، و ازرع بذور القوة و الثقة بين الاتباع و تخلص من المشي بالتميمة و آكل لحوم الموتى فهي لا تورث إلا الامراض و الأورام الفتاكة ، و تمحور في أعمالك وركز جهودك حتى تكتسب مهارة التفكير و الترتيب معا، فإن عدلت بعد ذلك نمت و عشت سعيدا فإن كان كل ذلك في سبيل الله جمع لك الخير كله، و اوصيك في الختام إذا أردت أن تكون قائدا فعليك أن تقود.